يوسف سامي اليوسف

تجربة فدوى طوقان
٢ - المرحلة الثانية: أصالة القلق البشري

سأحاول، الآن، أن أختار بعض النصوص الشعرية من المجموعات الثلاث الاخرى لفدوى طوقان، ثم أبحث فيها، من مواقع معيارية، ابتغاء الوصول إلى معرفة بالقيمة الفنية لهذه الشاعرة. أما المختارات فليست عشوائية، بل هي - حسب ظني - من بين أفضل ما كتبته الشاعرة في هذه المرحلة الثانية من حياتها الشعرية. أما المعايير النقدية التي سألجأ إليها في التعرف على قيمة هذه النصوص المصطفاة، فهي رعشة الانفعال، واللامنطقية التصويرية، والتعبير بالصور المتنامية، وملغمة العناصر المكوّنة للقصيدة، أو النظر اليها من موقع التراكم والاكتظاظ والاغتناء بالعناصر العميقة الوفيرة الصانعة للمزية.

النص الأول

لست أعني بمعيار رعشة الانفعال سوى مدى عمق الهزة الشعورية التي تصدمنا بها القصيدة، ومدى ما يحدثه هذا العمق من تأثير في الذات المتلقية، إذ ان الشعر، في نظري، حوار بين أرواح. وبالطبع تحتوي رعشة الانفعال على صدق العاطفة وعمق المعايشة الوجدانية للوجود، إذ لا يمكن لشعر أن يرعشنا بأصالة، أن يخاطب الغليان الرابض في أساس ذواتنا، إلا إذا كان صادق الوجدان ضارباً بعمق في محتويات الوجود الماهوية.

ليكن النص الأول من الديوان السادس، «على قمة الدنيا وحيداً»، وليكن اللوحة الثالثة من قصيدة «اليهم وراء القضبان»، وهي اللوحة التي عنوانها، «من مفكرة سجين مجهول مكان السجن»:

من الفجاج يطفح الظلام عابساً صموت
والليل ناصب هنا شراعه الكبير